الفصل الثامن

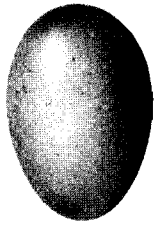

الخطوة السابعة

عليك أن تتوقع الأمور غير المُتوَقعة ... فهذه سنة الحياة

الحياة مثل حجيرة في قلاّبة دَوّارة بمدينة الألعاب حيناً تعلو إلى أعلى نقطة وحيناً تهبط إلى أدناها، ولكنها في حركة دائمة

سارة ويدينغتون

(مسألة اختيار)

تعلم الرجال والنساء الواثقون أن ينظروا إلى أنفسهم، فقد اضطروا إلى التوقف في كثير من الأحيان ليتأملوا فيما حولهم وينظروا فيما هم فيه وما هم عليه، والتجؤوا إلى أصدقائهم وزملائهم المخلصين فوجدوا فيهم أنفسهم، وأنت مثلهم فاعل.

لم يكن الأسوأ متوقعاً

أسوأ أيام الحياة التي مرت بها الأستاذة الجامعية والمحامية والمؤلفة والناشطة في مجال حقوق المرأة سارة ويدينغتون Sarah Wedding-ton هو يوم اندحر الرئيس جيمي كارتر Jimmy Carter في مسعاه

obeikandl.com

لإعادة انتخابه عام ١٩٨٠، إذ كانت ذات يوم مستشارة رئيسة حصيفة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وفي اليوم التالي، أثراً بعد عين خرجت بخُفي حُنين بعد أن تحدث إليها الناس من صناديق الاقتراع، فرئيسها قد انكفأ وسارت على خطاه. وفي ذلك تقول:

حينما أنهى المقترعون حديثهم في انتخابات كارتر - ريغان أثاروا موجات عاتية في واشنطن دي سي في يوم واحد، وزلزلوني ، فبعد أن كنت مساعدة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أتربع في مكتب فوق المكتب البيضاوي تماماً وأتمتع بحق الدخول على أعلى سلطة لإحداث تغيير في العالم، انحدر بي المقام فلم يبق لي سوى شهرين حتى أجر أذيالي وأخرج.

في ذلك اليوم أصبح معظم الذين أعرفهم بلا منصب، وأنا معهم، ولم يكن بوسع أحد أن يهاتف أحداً ليطلب منه العون على إيجاد عمل له، فكانوا جميعا سواسية.

لكن الخروج اضطرني إلى أن أعيد تقييم مهاراتي وحساباتي لأعرف كيف سأمضي وقتي، وقد أدى بي تفكيري إلى مهنة جديدة، أن أكون كاتبة ومتحدثة ومعلمة، فأنا اليوم أقل توتراً وأكثر سعادة، ومسرورة جداً إذ أتيحت لي فرصة لاتقدر بثمن لرؤية الحياة الأمريكية من القمة.

أعلنت وسائل الإعلام عن إغلاق صناديق الاقتراع، ورغم ذلك فإن كل طرف فيها ظل يزعم أنه الرابح، فهذا أمر جلل يهيمن على المسرح السياسي، حتى سارة ويدينغتون لم تكن لتصدق أن جيمي كارتر سيحظى بالهزيمة، لكنه نالها، ولم تكن قد توقعت ما هو غير متوقع.

اللامتوقع أدى إلى المقام الأول

بعد ريغان جاءت حملة وولتر موندیل Walter Mondale، حيث فعل عام ١٩٨٤ مالم يكن متوقعاً حين اختار عضوة الكونغرس جيرالدين فيرارو Geraldine Ferraro كأول امرأة لتكون نائبة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية من حزب سياسي كبير. ورغم خسارة الانتخابات من قبل فريق موندیل فيرارو، إلا أن الأخيرة لم تكن الناجية فحسب بل الفائزة أيضاً.

لم تكن تتوقع أثناء الانتخابات أن تركز وسائل الإعلام على أنشطة زوجها أو ابنها.. أو أن يصبحا «اللعبة» التي تحظى بالاهتمام، إذ توقعت أن يكون محط الاهتمام سجلها كعضوة في الكونغرس، فخاب فألها.

ومنذ عام ١٩٨٤ ظلت تحت النظر العام على الدوام، ولم يكن ذلك متعة دائمة كما قالت في مقابلة مع صحيفة يو إس إيه توديه :USA Today

> إذا عدت بناظري إلى مجمل هذا الأمر رأيته إيجابياً، فقد أزال وإلى الأبد عزلة النساء عن المسرح السياسي الوطني، وعندما انسحبت بات شرويدر Pat Shroeder عضوة مجلس النواب من الترشيح للرئاسة لم يكن لأحد أن يتحدث أن امرأة يمكن أن تصل إلى ما وصلت إليه، لكن فريتز موندیل أزال عام ١٩٨٤ آخر حاجز أمام النساء لتحقيق السلطة السياسية.
>
> كان عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين فرصتي التي لاتصدق، ولم أشعر بمرارة النتيجة أو الطريقة التي عوملت بها أسرتي خلال الحملة. إنني أشعر أني أهملت زوجي وابني بشكل حقيقي، لكن

ذلك لم يترك فينا مرارة، فالمرارة الحقيقية تترك عندك مشاكلها، وما كنت لأدعها تفعل ذلك بي وقد أدركتُ منذ شبابي أنك تستطيع أن تستخلص الأفضل من الظروف المحيطة بك، فكيف لك أن تحس بالمرارة؟.

وطن في المرعى

واين هيج Wayne Hage مغامر تجاري ومتزوج وأب لابنتين وصاحب مزرعة كبيرة مساحتها سبعة آلاف فدان وتمتد على مساحة أحد عشر ميلاً مربعاً في مدينة آيداهو Idaho. كشف كتابه (القيِّمون على المرعى Stewards of the Range) النقاب عن المشاكل يواجهها أصحاب المزارع الكبيرة الخاصة مع الحكومة الاتحادية في القضايا التي تسمى «الاستملاكات» حيث يعلن الاتحاديون الأرض الخاصة ملكية عامة أو يضعونها في أقل المراتب تحت سيطرة الحكومة، ويُخرَج مالكها منها وفي معظم الأحيان يُدفع له مبلغٌ يقل كثيراً عن قيمتها. تأسست منظمة القيمون على المرعى في آيداهو عام ١٩٩٢ واتخذت اسمها من لوحة لفنان رعاة البقر ج. ن. سوانسون J. N. Swanson

يقول هيج: «إما أن يكون لك الحق بالممتلكات أو أن تكون أنت من الممتلكات». لقد قضى السنوات العشرين الماضيات في مقارعة سلطة الغابات بشأن قضية تقدر بحوالي ٢٨ مليون دولار، ذلك أن السلطة تريد حقوق الماء والكلأ والأرض، إضافة إلى مزرعته وحياته أيضاً. بعد أكثر من عشرين جلسة محاكمة؛ يقول هو وابنته مارغريت غابارد والمدير التنفيذي لمنظمة القيِّمون على المرعى:

هدف سلطة الغابات إخافتنا وإخراجنا من مزرعتنا. نحن عائلة وطنية نحب المبادئ التي قام عليها بلدنا، وقد أفنينا حياتنا لبناء وصيانة السهل الجميل الذي نمتلكه.

حضرنا حتى تاريخه أكثر من عشرين جلسة في المحكمة وفي كل منها كنا الفائزين، وقد تعرضنا لكبوة عام ١٩٩٢ حين اتهمتني السلطة علناً وزوراً في المحكمة بأنني أقطع الخشب الغالي من أرضنا، فجرَّمتني المحكمة، وبعد فترة قصيرة جداً ردَّت المحكمة التاسعة الحكم لأن كل ما فعلته هو أني أخرجت شجيرة من خندق، وهذا العمل يُعرف في المزرعة باسم الصيانة.

تعلمنا من تجاربنا مع الحكومة أن الكثير من السلطة يمكن أن تضيع صاحبها، ونحن في هذه المرحلة نشعر بقليل من الاحترام للحكومة.

ربما كان تورط هيغ مع سلطة الغابات غير متوقع، إذ تشجع بسبب عمله ووضعه على الاستمرار في مقارعته التي طال أمدها. إن اعتقاده بأن «الحكومة حينما تملك ٥١٪ من الأرض لاتضطر للعودة إلينا» هو من صلب مقارعته لكي لايستسلم في وجه الهجوم الضاري من أجل إرهابه وإرهاب عائلته وسلامة موقفهم.

إعادة التفاوض على أهدافك

تسيطر عليك في بعض الأحيان توقعات غير حقيقية، فتجد أنك قد لاتستطيع الوصول إلى شيء في اللحظة التي أنت فيها ... وأنت عندها بحاجة إلى أن تتعلم أن الوضع الذي أنت فيه جيد، وأنه لايعني أن

الفشل قد ألمَّ بك إن لن تصل إلى ماتريد في لحظتك، بل إن تلك الرياح ليست في شراعك، وعليك أن تتفاوض من جديد.

هناك خيارات متاحة دائماً، وإحدى النواحي التي تعلمتُها هي أن هناك خياراً ينتظر من يبحث عنه كائناً من كان من خلال تقييم ماحدث ومسيرة ماحدث.

الاختيار مرتبط بالتحكم، وهناك أحيان تستطيع أن تتحكم بالظرف الذي أنت فيه مثل الممثل الذي يحرك الدمى بالخيوط التي يمسكها بيديه ويخطط للحركات والوقائع، ولكن ماذا يحدث عندما لايكون بمقدورك أن تتحكم بهذه الخيوط التي تلقيها الحياة في طريقك؛ والتي يبدو أنها تربط كل شيء - حتى أنت - بالعقد؟.

الاختيار يدخل في الصورة، صورتك أنت.

بيَّنت الأبحاث التي أجريتُها فيما سبق بشأن كتبي - حديث *امرأة إلى امرأة ٢٠٠٠* - *Woman to Woman 2000* *وأن يصبح التخريب العمد دراية في الألفية الجديدة* *Becoming Sabotage Savvy in the New Millennium* *وامرأة إلى امرأة: من التخريب إلى التأييد* *Woman to Woman : From Sabotage to Support* - أن النساء أكثر احتمالاً في خوض المحاولة و «تضبيط» الأمر، مهما كان شأنه سواء كان علاقة سيئة في البيت أو العمل أو ظلماً ظاهراً، وأن النساء أكثر احتمالاً لأن تصرف طاقة سلبية أو تفكيراً سلبياً في الرجوع على شخص ما فيما لو غدرن به من الناحية الشخصية أو المهنية، وأن النساء ميالات إلى ربط الأمور والأماكن والأشياء

بأشخاصهن، وعندئذ يصبح رد فعلهن شخصياً، فيشعرن بالأذى والألم وبأنهن تعرضن للغدر. كذلك كشف بحثي عن أن ردود الأفعال وحتى التقييمات الفورية كانت تزيد في حدها عما حصل في حقيقة الأمر.

الرجال لايركزون على تضبيط الأمور أو المواد، ولا يريدون أن يصرفوا طاقاتهم في أي شيء وحيد المنحى أو لايعود عليهم بشيء، ولا يشعرون بأنهم تعرضوا للغدر كأشخاص وذلك لأن الحقيقة المجردة هي أنهم يضعون أنفسهم في موقع تتكشف فيه المعلومات الشخصية التي يمكن أن ترتد نارها عليهم.

من المهم أن تتذكر دائماً أنك في مألوف الأوضاع تختار أصدقاءك الذين تلعب معهم والمكان الذي تتقدم إليه بطلب توظيف، والمكان الذي تدرس فيه، ولكنك لاتستطيع اختيار الأسرة التي ولدت لها، ولكن يمكنك أن تختار أسراً «بديلة» كما أطلق عليها. يمكن ألا تكون أسرتك عظيمة جداً في تغذيتك أو تقديم الدعم لك، لكن عائلات كثيرة هي عظيمة في ذلك. ولقد وجدنا أن من النادر أن تلقى الدعم من الآخرين إن لم تجده في «البيت»، والبعض يقولون: إنهم تبنوا عائلات جديدة.

الأسرة والأصدقاء وبعض الزملاء هم أولئك الأشخاص والمجموعات الذين ينتظروك، لكي يرتدوا إليك فيقيِّمون الحال التي أنت عليها، فعليك أن تصغي إليهم. هل هذا صحيح؛ وهل تلزمه؟ ذاك الصوت الخافت في داخلك يمكن أن يتحول إلى زئير هادر؛ زئير حينما لاترغب بالإصغاء إليه.

لسوف تمر بك أحيان كثيرة ترغب فيها بالاستسلام، فهذا أيضاً من شأنك. ولكن قبل أن تفعل ذلك عليك بتقييم الوضع وابحث عن مدد من ناصح أو صديق.

كثير من الناس يتبعون النظام والمنهجية في عملهم، وهذا بالتأكيد ينتقل إلى حياتهم الشخصية، ولهم أقول: لاشيء يأتي بين عشية وضحاها ولا شيء يأتي دون عمل، وليس بمقدورك أن تنقر بأصابعك فيكون لك ماتريد. فكل شيء يأتي بالتدريج، وعليك ألا تضع أهدافاً قد تكون في إحدى اللحظات غير واقعية.

المبيعات اللامتوقعة تدر المليارات

إحدى أنجح شركات شبكة المعطيات العالمية - في زيادة قيمة أسهمها والتي تحقق ربحاً في الحقيقة - هي إي بيه E Bay تحت قيادة ميغ ويتمان Meg Whitman مديرتها التنفيذية التي تتحلى بمصادر قوة تستمدها من مرونتها التي لاتصدق وتستطيع من خلالها أن تتلاءم مع ظروف عديدة جداً، وكان من قيادتها أن أشعلت ثورة في سوق الشبكة للأشياء المستعملة الرخيصة التي تباع مرة ثانية.

انطلقت ويتمان من المدرسة القديمة لشركات الحياة؛ حيث قضت وقتاً في شركات بروكتر أند غامبل Procter & Gamble وديزني Disney وهاسبرو Hasbro وإف تي دي FTD قبل أن تلتحق بالشركة مديرة للعلامة التجارية ثم مديرة تنفيذية. لم تحظ في وقت من الأوقات بالنظر إليها كنجمة أو حتى نجمة محتملة، لكن التحاقها

بشركة إي بيه جعل منها بليونيرة ونجمة، وهذا أمر لم يكن سيئاً برأي من يقدر الوقت الذي أمضته في مسيرتها المهنية لتربي صِغارها.

ومن الشائع في منصبها أن يطفو الأمر اللامتوقع إلى السطح، فالدليل على قوة شخص ما هو كيف تكون استجابته لما هو لامتوقع. لقد تحطم موقع إي بيه مرات عديدة لم تتجاوز أكثرها طولاً ٢٢ ساعة، على حد قولها:

لم أتابع تلك المرة.

وجَّهت ويتمان اللوم لنفسها لأنها لم تتأكد من أن بُنى شركة إي بيه التحتية قوية بالشكل المطلوب أن تكون عليه. وكان عِلاجها أن تغوص وتعلم كل ما بوسعها أن تتعلمه عن الأمور التي جعلت إي بيه تكبو، فالتحطيم في المستقبل أمور لن تكون موضع ترحيب. قبل شركة إي بيه كان معظم الناس يشترون السلع من المحلات أو النشرات المصورة أو سوق الأشياء المستعملة الرخيصة أو المزادات أو المرائب التي يبيع فيها أصحابها الأشياء التي يريدون التخلص منها، وكان معظم الناس قبل شركة إي بيه أيضاً يبيعون السلع عن طريق المزاد أو سوق الأشياء المستعملة الرخيصة أو المرائب. ولن تبيع عن طريق المحلات أو النشرة المصورة إلا إذا كنت بائع مفرق. لقد وضعتْ إي بيه بين يدي البائع - أي بائع - مليوناً من المشترين المحتملين أو أكثر، وهذه هي الطريقة الجديدة للألفية الجديدة .

إرضاء الناس غاية لا تدرك

عندما تناولت هذا الفصل بالكتابة كنت بين هونولولو وسان فرانسيسكو، وقد أنهيت من فوري عرضاً قدمته أمام المؤتمر السنوي لجمعية وطنية أمضيت خلاله وقتاً طيباً أظن أن معظم المشاركين قاسَمونيه. وفي حفل الختام الذي أقيم في الليلة السابقة قال لي العديد من الرجال والنساء الذين كنت أقاسمهم طاولتهم: إنهم قد افتقدوا برنامجاً عظيماً، برنامجي، ومن طبْع المُحاضر أنه يحب سماع نوع من اللمز، ولكن هل يطغى هذا الشعور على كل أحد؟ أظن الجواب بالنفي.

اعتدت بعد كل محاضرة على الاطلاع على تعليقات الحضور التي تجمعها الجهة المضيفة وقراءتها بإمعان، تقول بعضها إني أتميز بروح الدعابة، ورائعة وعظيمة، وإنهم أحبوا مظهري، وما انفكوا يضحكون طوال العرض، وتمنوا قضاء وقت أطول معي. وبعد عشرة تعليقات قرأت: «غير منظمة، ومتشنجة، وينقصها شيء من الدعابة، والاستماع إليها مضيعة للوقت، وأقراط أذنيها مفرطة في الطول»! وجدت نماذج أخرى قليلة تميزت بآراء بشأني على النقيض تماماً.

التحمس والتعظيم لعين الشيء الذي يقول فيه الآخرون: بعدم وفائه بالغرض. ماهي الدلالة؟ أعرف أني متحدثة بارعة وأتميز بروح الدعابة، رغم أن ذلك حقيقة تقال ولكنها قد تكون مغالطة في بعض الأحيان. إليكم رأيي: أريد وأتوقع أن يقضي الحضور وقتاً طيباً في سماعي والخروج بنوع من المعلومات الجيدة التي يمكن أن ينفذوها على الصعيدين الشخصي والمهني وأشعر أنهم يستزيدون. وهذا ما أتوقعه.

أعرف على أرض الواقع أنه لابد من وجود أشخاص لايتصل حبل الود بيني وبينهم، فالطينة ليست من هذه العجينة، وهنا اللامتوقع. في أمسية الحفل ظننا - أنا وزوجي - أن المضيف رائع، لكن الضحك لم يجد سبيله إلى زوجين على نفس الطاولة إلا متكلفاً، ثم غادرانا مبكرَين. توقعت وقضيت وقتاً ممتعاً، ولا أظن أنهما على شاكلتي، وحصلت على ما أردت، ومن غير المحتمل أن يكونا مثلي.... وهنا اللامتوقع. في ظل التجربة التي خضتها شعرت وتوقعت أن كل من كان حاضراً ظن أنه عظيم أيضاً، وكان الصواب مجانبي كما هو واضح.

إذا تركتَ للآخرين أن يحددوا الوضع الذي ترى عليه نفسك فالجنون سبيلك. المهم هو أن تبذل قصارى جهدك لتقدم أحسن مالديك، ولْتسأل نفسك إن كنتَ قد حققت ذلك على كماله وزيادة في غالب الأحيان ولتأخذ جميع التغذية المرتدة على الصعيد الشخصي، وليس هناك مَن تحظى بمحبته الكاملة المكملة في كل آن وحين، وهذه هي القاعدة الأساس عند الحديث عن العمل، لكن أو لئك قليلون لحسن الحظ.

لم تكن كارن كيسلر- من حملة موندیل - تتوقع أن يتم إبلاغها على التلفاز - دون مقدمات - أنها طردت من وظيفتها، وإليكم مادار في خلدها:

عندما عدت إلى غرفتي في الفندق تمكنت من الخلود إلى نفسي وتقييم ماجرى. هل يريد وولتر موندیل أن يطردني؟ أم أن ذلك جاء من مصدر آخر؟ ماهو مدى التزامي بالمنظمة؟ ومن ثم حزمت أمري

ووضعت خطتي. قيمت ما حدث وأدركته، وعندها كان بمقدوري أن أتحرك.

عليك بتنظيم لائحة بما يشعرك بالامتنان

جين كيلي - صاحبة وكالة العمالة يشعر بضرورة أن تقوم بتنظيم هذه اللائحة.

حينما تكون في معمعة الظرف غير المواتي يكون ذلك كارثة محبطة، ومن المهم أن تكون بين يديك لائحة تعود إليها وتعترف بما فيها، وفي كل يوم أدرج في لائحتي الأصول التي أمتلكها والأشياء التي أمتن لوجودها ومن المهم أن تكون لديك لائحة تعود إليها لتنظر بما يشعرك بالامتنان: العينان واليدان والقدمان والبيت والوطن وحتى السيارة.

الأشخاص الذين يشعرون بالإحباط بشأن حظهم مازالوا يمتلكون وسائل لمواصلاتهم، وليفكروا بملايين البشر الذين لايملكون حتى أن يركبوا بسيارة. وهؤلاء المحبَطون يملكون سقفاً يستظلونه وسيارة يركبونها، ولعلهم يضخِّمون الأمور، ولذلك من المهم أن تقعد وتقيم ماحولك من مجريات أمور حياتك وتقوم بكشف حقيقي، فالكثيرون منا يستطيعون الانطلاق من فكرة أن الأسى نصيبي إلى فكرة أن الحياة ليست سيئة كثيراً.

سيدة الأعمال لوسي هيليستاد Lucy Hillestad تشعر كذلك بأهمية تنظيم مثل هذه اللائحة، وهي تسميها «الأشياء الجيدة التي تحيط بي».

ماهو أفضل ماعندي: عيناي أم شعري؟ هل لي أظافر جميلة؟ هل أستطيع أن أضرب على الآلة الكاتبة؟ هل أستطيع أن أتحدث؟ هل أستطيع أن أصغي؟ هل أستطيع أن أتعلم؟ هل أنا مديرة ناجحة؟ هل أعرف كيف أقود؟ هل أنا مبدِعة؟ وغيرها. ومهما كانت هذه الأشياء فعليك أن تستعملها لأفضل منفعة لك، وسواء كنت في مستوى الصف الرابع أو في مستوى الدكتوراه فالأمر سيان، وعليك أن تستعمل الأدوات التي بين يديك إن أردت التحرك إلى الأمام.

عليك أن تفكر بالأمر - أي أمر- وأن تقيِّم موقفك وما يجري من حولك، وإذا أحببت نفسك وجدت من يحبك، وإلا فلن تجد من يحبك، ولذلك عليك أن تبدأ بنفسك. انظر إلى المرآة وابدأ باستكشاف مالديك مما يمكن أن يحظى بحب الآخرين، واسأل ماذا يرى الآخرون؟

عليك بوضع شيء فوق هذا الشيء وزد عليه يوماً بعد يوم حينما تنظر إلى المرآة، وتذكر أن هناك على الدوام شيء جيد يعود إليك، ولاسيما حينما تمر بك الأشياء السيئة. لقد اعتادت أمي أن تقول لي: «لعل اليوم لايكون طيباً، ولكن الغد ستشرق شمسه وسيكون بين الغيوم خيط فضي». ولطالما صدقتها وَ رنَّ في أذني صوتها وهي تعيد هذا القول اليوم رغم أنها توفيت منذ سنين عديدة.

الخاطرة الثانية عشرة

إذا ظننت أن كل شيء يسير وفق ما هو مخطط له، عشت في نفق وعلى عينيك عصبتين، وحينما تتوقع اللامتوقع تبقى على رأس اللعبة،

وهذا أمر طيب لك ولمن يعملون ويعيشون معك.

الوقت كفيل بإحداث التغيير

حين يحدث أمر لامتوقع، فإن من الشائع أن يتوقع المرء إصلاحاً له بصورة شبه فورية، ولعلك تدرك وجود خطأ وأن شيئاً سلبياً قد وقع سيتحول وبسرعة إلى شيء إيجابي، لكن ذلك لايحدث بشكل دائم. المؤلفة كارول حياة Carole Hyatt تشعر أن إعطاء نفسك وقتاً هو أمر مهم، فمن النادر أن تقع الأحداث أو تتغير بين ليلة وضحاها.

> من المهم أن تعطي نفسك بعض الوقت، وشيئاً من الوقت المفرَّغ لك وحدك، واترك لنفسك الوقت الكافي لترى ماحدث في الواقع. ولعلك تظن بعدم قدرتك على توفير ذلك الوقت، ولكنك بحاجة إليه، وهو ليس وقتاً غير محدد بل مايكفيك للخروج مما أنت فيه. وحينما تتهاوى ثقتك تكون حالك كالجريح، ولابد للجراح من أن تندمِل. ولكل منا وقته، فهذا يحتاج لأسبوع وذاك لستة أشهر. فإذا أعطيت نفسك الوقت للجلوس والتفكير فيما حدث وتقييم الحالة استطعت أن تعيد بناء ثقتك، وأنت في نهاية المطاف تستحق ذلك.

عندما تخبو ثقتك في بعض الأحيان ينتابك شعور بالبؤس بشكل عام ويفسد إنتاج عملك. الدكتورة ديبورا برايت Dr. Deborah Bright مؤلفة كتابيْ: *وصل إلى الحافة وما زال تحت السيطرة On the Edge and in Control* و*التحرك نحو المسرب السريع Gearing Up for the Fast Lane* هي رئيسة شركة استشارية في نيويورك وتقدم برامجاً في أنحاء البلاد لعملاء يضمون آي بي إم IBM ومكتب

التحقيقات الفدرالي FBI وديترويت تايغرز، وقد تأثر عملها اليوم بخبرتها كغطاسة أولمبية.

أظن أن الرياضة مثل شركة الأعمال، إذ يتعين عليك أن تثبت نفسك على الدوام، وليس بمقدورك أن تركن إلى ماضيك الرياضي الناجح. ومازلت أتذكر كلمات مدربتي بعد تدريب غير منضبط على الألعاب، وعندما كنت أغوص: «اسمعي يا دِب! لديك كل المقومات التي تقودك إلى أن تصبحي بطلة؛ كل شيء، وكل ما تحتاجين إليه هو الإيمان بنفسك وأن تكوني واثقة، ولسوف تفوزين».

كنت في ذلك الحين في منتصف سني المراهقة والفائزة بكل شيء في ولاية فلوريدا، وكان عليَّ أن أتخذ قراراً بعد أن حققتُ المرتبة الأولى في الساحل الشرقي؛ هل أبقى سمكة كبيرة في بحيرة صغيرة أم يتعين عليَّ أن أمضيَ قدُماً وربما أخاطر فأصبح سمكة صغيرة في بحيرة كبيرة؟ أردت الانتقال إلى البحيرة الأكبر، وقد كنت دائماً أفعل ذلك. لقد قلت لنفسي دائماً إنني أفضل ألا أكون السمكة الكبيرة في البحيرة الصغيرة، ولسوف أحاول جاهدة أن أكون السمكة الصغيرة في البحيرة الكبيرة.

عندما أبلغتني أن لدي كل شيء يقودني إلى أن أصبح بطلة وترافق ذلك برغبتي في أن أكون ضمن الألعاب الأولمبية قررت أن أركب المخاطر وأبذل جهدي حتى أكون السمكة الصغيرة في البحيرة الكبيرة، وكل ما استطعت أن أفكر به هو أن أكون بطلة أولمبية إذ

كانت مدربتي بطلة أولمبية، والأمر كبير حين يقول أحد إني أستطيع أن أكون الأفضل.

لم أستطع خلال هذه التدريبات أن أنفذ كل شيء على وجهه الصحيح، فكل غطسة أحاولها لاتحقق المطلوب من حيث الغطس العمودي في الماء، وعجزت عن أن أجعل العزم في المعصمين أو أرفع إلْيَتيّ، وكان كل شيء يعاكسني. شعرت أني لا أُحْكِم الغطسة بل أفسدها، وتنامى شكي بقدرتي وتزايد، فكيف لي أن أتخلص من ذلك وأنطلق إلى المنافسة وأحقق أياً من أهدافي؟ وخانتني دموعي وعلا بكائي.

دلّلت مدربتي من خلال كلامها على أنها مؤمنة بي، وليس لك إلا أن تكون لديك الثقة، هذا الكلام سهل القول ولكن كيف لك بكسوته الصيغة العملية؟ الأزمات وما شابهها في نظري هي أحد وجوه الحياة، وهي ليست الاستثناء، ولسوف تكون الحياة طيبة إذا لم تمر من خلالها أزمات، ولكن هيهات أن يضمن أحد روعة الحياة بأكمل وجوهها.

ومرة أخرى فكرت بما قالته مدربتي من قبل، وبدأت الأمور تتخبط، فهناك من يثق بي ولكن الغمَّة ركبتني.

النجاة والفلاح

إستطاعت ليسلي تشارلز Leslie Charles، المستشارة ومدربة الشركات أن تجد ثقتها حينما أصبحت تتقاضى إعانة البطالة فعادت إلى الدراسة لكي تتعلم وشقت طريقها ومن ثم انطلقت في مسيرتها

الخاصة وبعد كل ذلك اتخذت لنفسها اسماً آخر. مرت بها فترة تحسنت فيها الأمور بعد طلاقها ثم بدأت تتعرض للصدمات، إذ قتل ابنها ومات حصانها وتعرضت لأزمة صحية مميتة، وأحست أنها إلى الهاوية، وكلما حاولت الصعود منها حل بها شيء يغرقها. اللامتوقع.

مات ابني عام ١٩٨٤، ووجدت سلوتي على ظهر حصاني الذي امتلكته منذ أن كنت في التاسعة والعشرين، حتى حينما كنت على قائمة إعانة البطالة، وتركت معاقرة الخمرة والتدخين لكي أتمكن من ركوب الحصان الذي كنت أدفع لإحدى صديقاتي عشرين دولاراً في الشهر لقاء رعايته عندها، واضطررت أن أنقطع عن الكحول والتدخين لكي أو فر هذا المبلغ اللازم لحصاني.

عندما مات حصاني عام ١٩٨٧ أعاد إلى ذهني الكثير من ذكريات موت ابني بعد أن أدركت أن عليَّ أن أتحرك من داخلي إن أردت استعادة ثقتي، واليوم تراني أقدم ورشة عمل حول القوة الشخصية ومدى ارتباطها بالثقة. بدأت بالثقة انطلاقاً من معناها في القاموس، واستخرجت معنى كلمة «القوة» التي عرفها القاموس على أنها القدرة على الفعل أو العمل، فهي إذن داخلية، ومن هنا كنت أنظر إلى الثقة والقوة على أنهما شيء واحد.

القوة الشخصية هي الثقة، والثقة هي القوة الشخصية، لكن الارتداد إلى الوضع السابق أمر على غاية من السهولة، ولذلك بدأت ببناء الثقة واسترجاعها خطوة إثر خطوة بعد كل من هذه

الأزمات التي تجاوزتها بخطوات صغيرة، وهنا لابد من نسيان الخطوات الكبيرة، وأظن أن عليك أن تتحرك بشكل تدريجي نحو الأعلى على أن تترك لنفسك مجالاً مريحاً لتتحرك ضمنه.

ومع التقدم الذي كنت أحرزه توسع هذا المجال عندي، وتقلص انزعاجي مع تزايد شعوري بالراحة، وكنت في الأيام الخالية أتزمَّر عندما أشعر بالانزعاج بصرف النظر عن المسببات، والحقيقة أنني كنت في بعض الأحيان أنسحب.

نجَت ليسلي تشارلز وأفلحت، وكانت كل الوقائع اللامتوقعة التي مرت بها بمثابة خطوب جلل نقلتها إلى مستوى آخر، وفي ظل النجاة والفلاح طوَّرت ليسلي عدَّة وسائل يمكنها استخدامها في وجه اللامتوقع عندما ينزل في ساحتها.

انقل الصورة!

تعرَّضت نيكول شابيرو Nicole Schapiro المستشارة في الإدارة إلى أزمات شخصية وأمور لامتوقعة زادت عن طاقتها وكانت أعمق أثراً مما مرَّ بالكثيرين منا. نيكول لاجئة هنغارية تعلمت خلال رحلتها إلى النجاة أن نواحي العمل لاتختلف عن نواحي الحياة.

كان عليها في كثير من الأحيان أن تختار بين النجاة وبين الاستسلام، وأن تقيّم - في كل حين - المهارات التي تتمتع بها لكي تتعلم رؤية الأشياء التي لايراها الآخرون في الواقع. تتذكر يوم مولدها الخامس عشر فقط بصورة جيدة، وكان ذلك إبّان الثورة الهنغارية، وطعام

المجموعة الصغيرة من الرفاق بصلة لاغير. طلبت إلى كل فرد أن يعتبر البصلة كعكة عيد ميلاد تكسوها الشوكولاه وتزينها الزهو ر الأرجوانية. وكانت هذه الكعكة بمثابة شيء تحتاج نيكول إلى أن تصدقه وأن يجسد احتفالاً يعترف بحياتها كإنسان، وهي تتذكر كلمات جدها «الثقة تأتي من خلال تذكر الأشياء التي كان الجد يقولها، فإن التفكير الإيجابي بها يمكِّنك في الحقيقة من تجاوز أي أمر سلبي».

قيِّم نفسك

عندما أحاول اليوم أن أقيِّم وضعاً ما فإني أبتعد في عطلة نهاية الأسبوع إلى مكان أشعر بالمتعة الكبيرة فيه وينسيني ذكر زوجي وأصدقائي، وقد يراه البعض في الشاطئ ويراه الآخرون في منتجع المياه المعدنية، فإن كنت تحب الشاطئ فاختر شاطئاً رائعاً، وإن كنت من عشاق الرياضة فاذهب إلى منتجع ولكن إياك أن تنشغل بجميع الأنشطة الاجتماعية التي يحفل بها.

عليك بالتمارين والجلوس على الشاطئ وبالأشياء التي تشعرك بالاستبشار، ومَتّع ناظريك بالأمواج أو تزلَّج على الماء طوال اليوم، ولكن الأمر الأساسي هو أن تقضي اليوم مع نفسك، ولتأخذ معك قلماً وورقة واكتب المحاسن والمساوئ ضمن عمودين. أين موقعك من حياتك؟ ماهو الجيد؟ ماهو السيء؟ إلامَ كنت تود الوصول في هذه اللحظة من حياتك؟ أي من هذه الأشياء خيالية وأي منها يمكن الحصول عليها بصورة واقعية؟ ثم ضع معادلة لما ترغب بتحقيقه في مثل هذا الوقت من العام القادم ثم ضع خطة لكيفية تحقيق ذلك.

الخاطرة الثالثة عشرة

إذا ربطت ما تحقق لك من معرفة ونجاح وتحكم من خلال الخبرات الماضية ثم طبقتها على الأحوال القادمة ضمنت أن تكبر ثقتك. وذلك النمو يتولد عن التقييم الذي يتناول مكانك أثناء تمكنك من التحكم أو النظر في الوقائع اللامتوقعة.

لابد لكل منا أن يتعرض لوقائع لامتوقعة، وقد مرت دوروثي بها عندما وطأت قدماها أرض المونشكيين وأحست بالعزلة المُطبقة. وحين قابلت الرجل التوتيائي لم تكن قد توقعت رؤية الفزّاعة والأسد الجبان. أما هاري بوتر فواجه واقعة لامتوقعة تلتها واقعة أخرى لامتوقعة في منزل عائلة هو غوورت. وعندما نقله زوج عمته في نهاية المطاف من تحت الدرج في بيت «الأسرة»، كان ذلك يمثل الأمر غير المتوقع نهائياً. من كان يظن أن تنقل الرسائل والبريد من قبل طائر البوم وليس على يد ساعي البريد؟ لم يكن هاري بوتر على وجه التأكيد.

الأساس هو أنك ستواجه عدداً لايحصى من الأمور اللامتوقعة، وبعضها سيكون مبعثاً للبهجة الكبرى، وبعضها الآخر طامة كبرى. ومن الطبيعي أن تشعر بالوحدة والخوف وحتى انعدام القيمة عندما يحدث ذلك، ولا يمكنك متابعة التحرك إلا من خلال معرفة مايحدث والقدرة على معرفة الموقع الذي أنت فيه وأخيراً الإيمان بقدرتك على التحرك إلى الأمام. بكل ثقة.